

مذكرات ميت

مذكرات ميت

رواية

وائل الخطيب

تصميم الغلاف:

تدقيق لغوي: دينا نسريني

رقم الإيداع: 2014/2279

6 - 274 - 488 - 977 - ISBN: 978

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة: 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور, المرج

الغربية, القاهرة

المدير العام: يحيى هاشم

هاتف: 01147633268 - 01110622103

E – mail: daroktob1@yahoo.com

Facebook: دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية , 2015م

جميع الحقوق محفوظة ©

دار اكتب للنشر والتوزيع

مذكرات ميت

وائل الخطيب



دار اكتب للنشر والتوزيع

وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا

الإهداء

إلى أبي الذي علمني عشق القراءة

إلى أمي..

إلى نور عيني «نور» وحلم أيامي «أحمد»

وإليكِ

يا من تعلمت على يديكِ كيف يكون العشق..

أحبك يا كل عمري..

أحبك..

وأهديكِ هذا الكتاب

مخطون..

حمقى..

أولئك الذين يتخيلون أننا بموتنا صرنا لا شيء..

أقصى ما يتمنونه.. وما يخشونه أيضا.. أن نأتيهم في أحلامهم!!!

عاجزون..

ضيقو الأفق..

لقد صرنا أكثر حرية..

وخفة..

ودّعوني بالدموع والآهات..

وصدقتهم!!

ما لبثوا يبتسمون وهم عائدون، وكأنهم لم يودعوني منذ لحظات و..

..

يا للخرج!!!..

لم أعرفكم بنفسي حتى الآن..

أنا «جمجمة»..

نعم.. لم تخطئوا قراءة الاسم..

«جمجمة»..

اسم مستعار طبعاً، كما يبدو للجميع..

ولكنه حقيقي بالنسبة لي على الأقل!!

ميت منذ ما يقرب من عام ونصف بتوقيتكم..
فيومي هنا لم يمر بعد..
ما زلت في بدايته..
دعوكم مني، ولأبدأ أولى حلقات مذكراتي..
تلك التي كنت أخشى أن أكتبها وأنا حي أرزق..
لسبب أو لآخر ستعرفونه حتما بعد قراءتها..
إن كنتم تملكون الوقت..
فأنا هنا لدي الوقت كله..
أعيروني عيونكم..
وأرهفوا آذانكم..
لن تكون تلك المذكرات مرتبة..
فذاكرتي - كما كنت دائما - لا تستوعب التواريخ..
إنما تهتم بالشخوص والأحداث..
ولنبداً..
من هنا..

- 1 -

————— 12 —————

— بيسة —

كان أبي قارئاً هماً، يعشق القراءة، أعتقد أنها كانت متعته الوحيدة،
خاصة حين يشعل لفافة التبغ الخاصة به وهو يقرأ..

مع تلك اللمعة في عينيه، وكأنه يمتص كل حرف في الأوراق مع
احمرار لفافة التبغ وهي على شفثيه.. جعلتني أتمنى أن أقلده يوماً ما..
كان يحكي لي حكاية كل يوم..

سيف بن ذي يزن..

أبو زيد الهلالي..

حتى أن والدي حذرته أكثر من مرة قائلة له (الولد لسه صغير
على الحكايات دي)..

ولم يكن أبي يمتنع عن تلك الحكايات..

وكنت أزداد شراهة في السمع والخيال كل يوم..

كنت أرى نفسي كـ «سيف وأبي زيد» حاملاً سيفي ضد
الأعداء..

ضارباً به كل من تسول له نفسه أن يتعدى حدوده..

صرت كما المنحون بتلك القصص والحكايات، وخاصة عندما
عرفت عنتر بن شداد..

تمنيت أن أكون أسود مثله و..

توقف عقلي على الرغم من صغري عند نقطة غريبة..
سيف كانت له «منية النفوس»
أبو زيد كان يعشق «عليا»..
عنتره فعل كل ما فعل من أجل «عبلة»..
إذن لا بد لي من أنثى أنا أيضاً..
وبخيال طفولي، رحت أبحث عن فتاتي في بنات جيرانى..
حتى وقعت عيناى على «بيسة»
لم يكن اسمها «بيسة» طبعاً، كان اسم الدلع..
كانت فتاة في السادسة من عمرها..
منكوشة الشعر.. معمصمة العينين.. متورمة الخدين..
لم يكن فيها شيء يعيها بالنسبة لطفل في السادسة مثلها..
رحت أحلم بها وهي ورائى على حصانى، وهي تنظر إليّ بامتنان،
من وراء عينيها المعمصتين..
لم أفق من أحلامي تلك إلا عندما ضربت «عصاما» جارنا الصغير
ذا الخمس سنوات أمامها، حتى أكشف لها عن قوتي ورجولتى..
ساعتها لعنت سيفاً وأبا زيد وعنتره..
لأن آثار تلك العلقه التى أخذتها من والدتى بعدها ظلت على
جسدى حتى مماتى..

صحيح..

فتش عن المرأة

قد يتساءل البعض عن عمري..
أقول لهؤلاء.. ما السنين الا لحظات تمر كلمح البصر.. ليس لها أي
معنى حين تموت..
حياتك التي تعيشها كلها تمر كطرفه عين..
صدق السباعي حين قال «العمر لحظة»
وأقول.. إن الإنسان ما هو إلا مجموعة من الخبرات يكتسبها من
الآخرين، ويؤثر فيهم أيضاً بخبراته.
إلا خبرة الموت تبقى متفردة بذاتها، دون أي خبرة أخرى..
فالموت هو الخبرة الوحيدة التي لا يستطيع الإنسان نقلها لأحد..
خبرة خاصة تنقلك من عالم لآخر..
لن أخبركم بما طبعاً..
حتى تتذوقوها..
ماذا؟..
أطلت عليكم..
تريدون الورقة الثانية..
يا لكم من عجولين حقاً..

لكم ما تريدون..

— 2 —

— نصيب —

ذات مساء..

كنت أنتظرها..

كانت تنتظري..

لست أدري صدقاً ما الذي شدَّ فتاةً مثلها لي..

فأنا شاب عادي..

عادي جداً..

ولكنها أحبتني أنا دون كل هؤلاء الشباب..

هكذا قالت لي..

لم أستطع كتمان سعادتي..

لقد كانت فاتنة بحق..

أكثر ما كان يفتني فيها عيناها..

يا الله!..!

أحقا توجد من هي بتلك البراءة والنقاء على وجه الأرض!!؟

جاءت..

وبكل الشوق..

بكل الحنان..

بكل اللهفة..

بكل الحب..

. «جمجمة» .

. (....) .

. لست أدري بمَ أبدأ، ولكن يبدو أنها النهاية يا حبيبي!!

. نهاية!! نهاية ماذا!!؟

. نهاية حينا.. لا أستطيع أن أرتبط بك.. فقد تقدم «سمير كامل»

لخطبتي، وقد قبل أبي.

. وأنتِ، أليس لك رأي!!؟

. لا رأي لي بعد رأي أبي.. ثم إن «سمير» كما تعلم جاهز، والعمر
ير..

. العمر يمر!.. «سمير» جاهز!!

أنت لست «....» التي أعرفها..

أين رقتك.. وحنانك!!؟

. أستأذنك في الانصراف.. هذه آخر مرة تراني فيها!!

وبالفعل كانت الأخيرة.. لم أرها من بعدها أبدا.. ولم أفكر حتى
فيها. هناك مثل مصري قالته صديقتي «صباح» لي يوما ما يقول..
(اللي يشتريني اشتريه واللي بيعيني أبيعاه واكسب فيه)..

ولقد طبقت هذا المثل دائما، فلم أندم على شيء فقدني أبدا..

.....

ما هذا الصراخ؟..

ميت جديد لم يتعود بعد على حياته هنا..

. اقترب يا أخي.. لا تقلق.. كلنا عانينا ما تعانیه..

. لا لا لا.. لم يعان أحد مثلي.. لقد عشت حياة بائسة.. لم أهنأ
يوما واحدا.. لقد كانت حياتي جحيماً.. جحيماً لا يطاق.. لقد
انتحرت بسببها..

. أستغفر الله.. انتحرت!

. نعم.. وبكامل إرادتي.. هي من جعلتني أفعل هذا.. لم تكن
بشرية.. بل كانت وحشا.. لم يكن أمامي سوى الخلاص من حياتي،
حتى أتخلص منها نهائياً..

. اهدأ.. اهدأ يا أخي.. لا شيء يستحق.. لم نتعارف بعد.. أنا
«جمجمة».. وأنت؟

. «سمير».. «سمير كامل»..

أووووو..

يا إلهي..

كانت دقيقة جحيمية بحق..

فمنذ دقيقة واحدة تركتكم..

لم أفق من عذابات تلك الدقيقة إلا الآن..
قصرت في أداء صلاة الظهر ذات يوم..
وهأنذا أجد عذابها الآن..
ماذا تقولون!!?
تركتكم منذ يومين!!!
مصابون بالنسيان دائماً أيها الأحياء!!
في القبر، ستذكرون كل كبيرة وصغيرة..
ألم أقل لكم يومي هنا يختلف..
ما زلت في بدايته، على الرغم من مرور سنة ونصف بتوقيتكم على
وفاتي..
ماذا تريدون!!?
أصف لك العذاب!!؟!!
يا لك من حاملة..
كل شيء هنا لا يوصف..
كل شيء هنا مختلف..
أحمق من يظن نفسه ناجيا من العذاب..
أحمق بحق..
ليس كل ميت مدفوناً

بين الأحياء الكثير من الموتى.. يتحركون.. يتحدثون.. يأكلون

يشربون.. يضحكون

لكنهم موتى.. يمارسون الحياة بلا حياة..

أرى على وجوهكم شيء من الدهشة والفضول..

اكتبوا ما تشعرون به، وثقوا بالموت..

فهم أكثر أماناً من الأحياء.. هنا لا كذب.. لا نفاق.. لا خداع..

هنا موت فقط..

الموت..

ذلك الشيء المهيّب الغريب الغامض لكم.. لن تعرفوه إلا إن

تذوقتموه..

طال عمركم أم قصر..

ستشعرون به يوماً ما..

الورقة الثالثة ستكون بين أيديكم بعد قليل..

بتوقيتي!!!

-3-

— الشيخ حامد —

«فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ

— لا عيد الآية تاني

«فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ»

- يا ابني رقق الرءاء في الحرِّ، مش مكسورة قدامك.. اسمع يا

«جمجمة»

كنت نائماً ذات يوم، وحلمت أني أقرأ نفس الآية.. وكنت أخطئ نفس الخطأ، وظللت أكرر فيها كأني أحفظها.. وفجأة وجدت من يضربني ضرباً خفيفاً على كتفي وهو يقول «أتقرؤها هكذا.. رقق الرءاء في الحرِّ.. قل في الحرِّ مع التريق»!!!

والفتفت، لأجد الرسول صلى الله عليه وسلم هو من يصحح لي،

وابتسم وغادرتني!

لا تنس التزييق عند الكسر في تلك الآية عند الوصل، والتفخيم
عند الوقف

- طيب يا شيخ «حامد»

الشيخ «حامد» رجل في السبعين من عمره، كان يحفظني كتاب
الله.. وظل معي حتى أتممت حفظه، كان إمامًا لمسجدنا.. وكان أول
من دفعني للإمامة.

كان دائمًا ما يؤمنا في رمضان.. ننسى الدنيا بما فيها عند سماع
صوته، وكأنه رحمة يهبها الله لعباده في تلك الأيام

يملك صوتًا عذبًا رقيقًا.. يظل يتردد في أذنيك طيلة اليوم..
يجمع الناس من حوله في حلقة القراءة، بعد صلاة العصر، وحتى قبل
أذان المغرب.

كان لا يخلو لومه وتصحيحه لكل القارئ والحافظين من دعاة أو
قصة يحكيها

يملك أسلوبًا رائعًا في جذب الانتباه

دائمًا يقول «اقرأ واحفظ لتعلو»..

منذ لحظات، سمعت صوته يتردد هنا ..

لقد أتى إلينا..

ما زال صوته يتردد..

ما زال يقرأ..

ويعلو..

4

ع ي د

أولُ عيدٍ بدوني!!!

يبدو الأمر غريبًا نوعًا ما..

لستُ موجودًا كباقي الأعياد السابقة..

رمضان والعيد، لحظات مرت بسرعة البرق، كالعادة دائما في هذا

الجو الجديد الذي أعيشه..

سيل من الرحمات في الشهر الكريم..

ثم في العيد..

لو تمر كل الأيام هنا كتلك اللحظات، لا اخترنا أن تكون الشهور
كلها رمضان!!

أذكر أنني حضرت عيداً في قريتي..

كان أول ما فعلناه بعد الصلاة هو الذهاب إلى المقابر..

لم نكن وحدنا..

بل كانت كل القرية تقريباً..

ينتشر الصبية والأرامل والشكالي أمام المقابر..

تسمع القرآن يتلى، مع صوت الصرخات تتعالى، وتتلاقى في
المكان كله ممزوجة بالدموع والآهات..

كنت أستغرب المنظر للغاية..

لم أذهب لبلدي لقضاء العيد بعدها أبداً..

ربما يقيناً مني بأن الذهاب إلى الموتى يوم العيد يحو فرحته..

أو إيماناً مني بعدم إزعاجهم في يوم كهذا..

وعلى الرغم من هذا كله..

أوصيت بدفني في مقابر بلدي..

ربما لأشعر ببعض الونس في تلك الوحدة الأبدية!!

أو هو الخوف الطبيعي من أن تظل وحيداً طيلة الوقت..

كنت أستغرب مناداتهم للموتى بأسمائهم والحديث معهم..

كنت أقول في نفسي: كيف لميت أن يسمع أو حتى أن يرد
السلام؟؟!!..

لم أفهم حقيقة ما فعلوه إلا اليوم..

حين طرقت أُمي مقبرتي وهي تنادي عليّ..

كنت أسمعها بوضوح..

كانت تبكي..

قطرات دمعها بللت سقف مقبرتي من غزارتها..

خففت عني كثيرا..

وكأنها رحمت إضافية يهبها الرحمن لمن يشاء..

كان دمعها يضمني، كما ضمت - بي يداها ليالٍ وأياما مضت..

حدثتني كثيرا، وأخبرتني عن أبي وإخوتي؛ طمأنتني عليهم..

الغريب أنها لم تذكر شيئا عن زوجتي وابني..!!!

كنت أشعر ببكاء خطاها وارتعادة دموعها وهي تبتعد تاركة إياي..

إن الأمهات لرحمات تمشي على الأرض لو تدررون..

..و

ما هذا..

صوت زوجتي وابني..

بالفرحتي..

. اشتقت إليك يا «جمجمة».. و «أحمد» أيضاً..
ها هو يقف بجواري.. يمسك بيد «جمال»..
زوجي الجديد..

إيييييييه

عدنا..

شعور لا يوصف..

وكلمات ستكون بلا معنى إن حتى وصفت!!

الجنة!!

فلتنسوا كل ما تخيلتكم..

ما لا عين رأت.. ولا أذن سمعت.. ولا خطر على قلب بشر بحق..

لالالالا.. لم أكن هناك بالطبع.. لكنه نوع من التعذيب..
حسابي ما زال في بدايته.. ما زالت كفة سيئاتي تعلو حسناتي..
وما زلت أندم في كل لحظة..
ولكن هيهات..
لا مجال للندم أو الرجوع..
كل ما أقوله لكم..
أفيقوا..
تذكروا..
تفكروا..
واعلموا أن رحمة الله واسعة..
وأن عذابه عز وجل شديد..
الآن أعيروني أبصاركم..
سأخبركم بمن النقيت..

— 5 —

— شروط —

منذ أتيت إلى هنا من ستة شهور..

رأيت لأول مرة..

استقبلني بابتسامة ودود..

سألني عن سبب وجودي هنا..

ثم مضى ..
دائماً يكون أول المستقبلين ..
لكن ما أثار استغرابي بحق ..
كان يقابل أشخاصا بعينهم والسرور يملأ وجهه ..
يسألهم ..
يحتضنهم والدموع في عينيه ..
كأن بينهم رابط ما ..
جميعهم يجمعهم شيء واحد ..
نفس النظرة ..
والبسمة ..
والشroud ..
ما أثار حيرتي أيضاً ..
تلك الدماء التي تسيل بلا انقطاع ..
وتلك الرائحة المميزة التي تنبعث منه ومن أقرانه ..
رائحة زكية عطرة ..
لا وجود لمثلها بين الأموات كلهم ..
من لحظات، بدا التوتر بين الجميع ..
وكأنهم ينتظرون حدثاً ما ..

نظرات القلق تجمعهم..

والترقب أيضاً

لست أدري سر ذلك التوتر والقلق الشديدين الواضحين منذ
لحظات..

..و

يا إلهي!..

الآن تذكرت..

الآن عرفت..

بعض تلك الوجوه رأيتها قبل موتي..

بل إنني بكيت لموتهم، على الرغم من أنني لا أعرفهم..

الآن فقط أدركت سر تلك الرائحة الزكية..

الآن فقط.. تذكرت تلك الوجوه..

بابتسامتها..

بجزئها..

بشرودها..

بصراخها الثائر..

يسقط يسقط حكم العسكر

ما أجهلنا!!
وما أقل ما نعلم!!
يعيش المرء حياته، طالت أم قصرت، وهو واهم بالمعرفة!!
فأنت في نفسك.. أفضل من تفكر..
أفضل من يستنتج..
أكثر تديناً..
أقل ذنباً..
واهم ورب الكعبة..
ومحدود التفكير أيضاً..
ابتكرتم.. وكتبتم.. واخترعتم..
وأنتم لا تدركون سوى القشور..
صارحوا أنفسكم..
اجلسوا إليها..
اعرفوا نقاط قوتكم.. وضعفكم..
ارضوا شغفكم..
كونوا في الحياة كـ «محمد عرفة»
ماذا؟؟!!
ألا تعرفون «محمد عرفة»!!

ألم تسمعوا عن «ابن الأرض»

تلك كنيته..

وروحه أيضًا..

أؤكد لكم أنكم حمقى..

فمن لم يعرفه لم يعرف

الطيبة..

القلب الأبيض..

الحزن متمثلًا في إنسان..

المحبة..

أكاد أجزم أنه الوحيد في دنيانا الذي يملك قلبًا يسع الجميع..

وروحًا رائعة، إن وصفت الروح يومًا بالروعة..

لا يحمل ضغينة لأحد، وإن جرحه..

ابتسامته الرائقة..

وقفشاته الساخرة الماكرة..

وصمته الصاخب..

أتمنى أن تلتقوا به يومًا..

فارس بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ..

فارس، في زمن انقراض فيه الفرسان..

ورقتي التالية يرويها «محمد عرفة»

أو «ابن الأرض»

كما يحلو له أن يُنادى..

اقرأوا تلك الورقة..

اقرأوها بقلوبكم..

قبل أن تقرأها أعينكم..

— عم صادق —

استلقى السيد «صادق» على فراشه الوثير، بعد عناء يوم طويل،
قضاه فيما بين زيارة صديق ومسامرة قريب، كما هي عادته، كل بضعة
أيام!

لكنه لم يلبث إلا قليلاً، حتى جاءت زوجته الست «وحيدة» بطعام
العشاء، وعلى جانبي ثغرها تبدت ابتسامة خجلى، فور مرآها للسيد
«صادق» وقد أطال نحوها النظر بغير داعٍ، أو سبب!

- وحشتيني يا «وحيدة»!

- يا راجل احنا كبرنا على الكلام دا!

- أنا اللي كبرت، لكن انتي زي ما انتي، وكأنتك بنت امبارح!

ثم جلسا معاً يتناولان الطعام، فيما بين سرور ومداعبة، حتى انتهيا،
فقام السيد «صادق» إلى خلوته، يقيم صلاته ودعائه، كما اعتاد أن
يفعل قبل نومه!

في صباح اليوم التالي، استيقظ السيد «صادق» وقد غمره إرهاق
شديد، حتى خال أنه نائم منذ بضع سنوات، وليس منذ بضع ساعات!

مع ذلك، لم يلبث إلا قليلاً، ثم صدح منادياً زوجته أن تضىء له
مصباح الغرفة، فلما لم يجر جواباً، حاول أن يقوم من موضعه، عله
يبصر بين حالك هذا الظلام طريقه!

لكنه لم يستطع، وكأن أثقال الدنيا قد حطت على ساعديه وقدميه!
فكرر ندائه.. علّ أحدهم يسمعه!

لكن، لا عجيب!

فكرر محاولته القيام - رغم مداهمة الخوف ثناياه - فتكرر مع ذلك
إخفاقه!

حاول أن يحرك أطرافه، أن يمد ذراعيه، أن يثني قائميه، أو أن يبصر
ما حوله.. لكن بلا جدوى!

تضاعفت مخاوفه.. حتى انتبهت حواسه لصوت بدا وكأنه يأتي من
بعد سحيق، لثمة نفر يقرؤون القرآن أو يتهلون بالدعاء..!

أصاغ السمع، حتى ميز من بين الأصوات صوتاً يعرفه!
كان غريباً أن يدرك صوت السيدة «وحيدة» زوجته بينهم، كان صوتها
حزيناً، وباكياً!..

أصاغ أكثر، فأدرك أن ألسنتهم تتداول اسمه، مقروناً بالرحمة
والمغفرة عليه!

الآن بدأ يدرك أين هو؟

فأخذ يبصر، رغمًا عن شديد الظلام، ضيق المكان!

لكنه، مع ذلك، لم يفرع، أو يجزن.. وإنما أخذ يستغيث اللقاء
المنتظر!

وبعد طول انتظار..

خرج إليه ملكان عظيمان، أخذ يرهف لهما مترقبًا.. من ثم قال:

هاؤم كتابيه!..

فتوهج القبر من فوره بنور ساطع، فجاءه الخبر اليقين يبشره بمقعد
في الجنة!..

استمرت السيدة «وحيدة» في محاولة إيقاظ زوجها، عله يدرك
صلاة الفجر، كما اعتاد منذ زواجهما!

وبعد محاولات عدة، استيقظ السيد «صديق» من نومه، غير مدركًا
ما يدور حوله!

لكنه لم يلبث غير قليل، حتى أفاق تمامًا، فأخذ يتلمس وجهه ووجه
زوجته، في شيء من الامتنان، في الوقت الذي استهجننت فيه السيدة
«وحيدة» منه ثقل نومه، وضياع صلاة الفجر منه..

فاعتذر منها، وأخبرها بما كان من أمر حلمه العجيب!

فما كان منها إلا أن أرهفت له الحواس، وقد أشرق محياها بنور
غريب!..

ثم معًا قاما لإدراك صلاة الفجر..

من ثمَّ عادا معًا إلى مضجعهما قريري الروح!

بعد شروق شمس ذلك اليوم، وبعد أن أدرك الخلق نور الله، قام كل
حي من مرقدِه!

إلا عم «صاّدق» وزوجته، فقد استمرا نائمين.. وللأبد!

حتى وجبت عليهما الرحمة..

والمغفرة..!

والآن ..

هل عاد الجميع ..

أرى البعض منكم قد جاء ..

أرى وجوها جديدة تسعدني رؤيتها ..

حسنا، لنكمل إذن ..

ترى كيف ترون أيامكم؟!؟

من يملك أن يقود زمام يومه كما يريد؟!؟

يعيشون حياة المتناقضات الدائمة ..

حب وكره ..

قناعة وطمع ..

صبر وهففة ..

يعيشون تلك المتضادات اللامتناهية ..

وتموتون ..

ثم لا تجدون من حياتكم شيئاً يستحق العناء الذي تدورون فيه..
فلسفة الأموات تطغى..
وحكمتهم بلا حدود..
فقد انكشف الغطاء أيها اللاهون..
دنياكم لن تظفروا منها إلا بلحظات قليلة للسعادة..
لحظات تستقر في نفوسكم الى الأبد..
لن يتبقى لكم هنا إلا ثلاث..
صدقة جارية..
أو تركتم خلفكم علم ينتفع به..
أو ولد صالح يدعو لكم إن جنتم لنا..
أبناءكم.. أبناءكم..
بذوركهم في الأرض من خلفكم..
فهم طريقكم الى الجنة إن أردتم..
أراك تنظر في ضجر..
مللت من فلسفة الأموات!!
وأنتِ أيضاً
أراك تتشابين في ملل..
إليكم قصة استثنائية..

إليكم قصة ابنتي..

لحظة وصولها إلى حياتكم..

إليكم قصة « نور »

— 7 —

— ن —

اليوم الخميس

التاريخ: 2006/9/21

الساعة: الرابعة وأربعة وعشرون دقيقة عصرا

«آآآآاه الحقني يا جمجمة مش قادرة»

انطلقت هذه الصرخة من زوجتي، فقفزت كما الملدوغ من برغوث
مص نصف دمي دفعة واحدة، ومعها انطلقت حماتي ذات المئة كيلو

جرام في سرعة سيارة **BMW** حديثة ناحية زوجتي المستقلية داخل
حجرة النوم..

لحظتها، كنت وراء حماتي في الحجرة ذاتها، وهناك على السرير
كانت زوجتي تصرخ من شدة الألم..

وهنا تحدثت السيارة **BMW** .. أأ.. أقصد حماتي

قائلة:.. تحرك يا ابني انت واقف زي الابهل كده ليه.. روح حضر
العربية.. مراتك بتولد!!!

أنا في تخلف:

. بتولد؟؟!!!!!!

. هي في نفاذ صبر: آه بتولد والا اللي في بطنها ده انتفاخ من 9
شهور تحرك يا ابني الله يهديك

انطلقت لا ألوي على شيء، على رأي مدرس اللغة العربية، بحثا
عن العربية (السيارة يعني) في هذه الأثناء، كانت الاتصالات تنهال
عليّ من أبي وأمي وأختي وأخي وحماتي وأخو زوجتي وأختها، كل هؤلاء
يحثوني على الإسراع (عشان مراتي بتولد)..

(كأني مش عارف يعني)!!!

اليوم الخميس

التاريخ: 2006/9/21

الساعة: الرابعة وثلاث وأربعون دقيقة

كنت جالسا داخل السيارة على مقعد القيادة، بانتظار حماتي وزوجتي وأختها. جلس ثلاثتهن في الكرسي الخلفي، وانطلقت بسرعة الصاروخ للمستشفى.

خبطني يد حماتي على كتفي مع صوتها:

- هدي شوية البت هتولد في العربية بالطريقة دي خد بالك من المطبات

خففت السرعة قليلا، فإذا بزوجتي تصرخ:

- بسرعة يا «جمجمة» مش قادرة استحمل وصلني للمستشفى بسرعة

ركنت السيارة جانبا قائلا في برود:

- اختاروا حل من اتنين يا بسرعة.. يا اهدي

فإذا بزئير أسد ما في غابة ما يضرب أذني قائلا:

- امشي حالاً بدل ما وربنا هخليك انت تولد!!

أخذت التهديد على محمل الجد، على الرغم من استحالته علميا، وانطلقت بالسيارة، حتى وصلنا المستشفى.

اليوم الخميس

التاريخ: 2006/9/21

الساعة: الخامسة وست وأربعون دقيقة

أتت دكتورة النساء والولادة، ثم كشفت على زوجتي في حجرة
الكشف، وخرجت مبتسمة. سألتها في لهفة:

- طمني يا دكتورة

قالت في هدوء:

- اطمئن لسه شوية

أنا ببلادة: شوية قد ايه يعني قيمة اتنين كيلو كده

ردت بابتسامة ساخرة:

- لا يا خفيف قيمة ساعتين

ابتسمت في ارتياح، لأني سأستطيع مشاهدة مباراة الأهلي والاتحاد
في هدوء قبل الولادة.

اليوم الخميس

التاريخ: 2006/9/21

الساعة: الساعة والنصف وخمس دقائق

الهدف الأول للنادي الأهلي، بقدم اللاعب فلافيو.. يا لسعادي!

اليوم الخميس

التاريخ: 2006/9/21

الساعة: الساعة وخمس وخمسون دقيقة

الهدف الثاني يقدم نفس اللاعب.. اليوم يوم سعد.

اليوم الخميس

التاريخ: 2006/9/21

الساعة: الساعة وسبع وخمسون دقيقة

هاتفني یرن، وصوت حمائي:

- انت فين يا ابني الله يهدك مراتك بتولد

أنا في غباء: بتولد!
انتبهت فجأة إلى أن زوجتي في المستشفى بالفعل، انطلقت مسرعا
إلى المستشفى..
وأنا أتمنى من الله..
أن يحرز الأهلي الهدف الثالث!

اليوم الخميس

التاريخ: 2006/9/21

الساعة: الثامنة تماما

دخلت على زوجتي، نظرت إليّ نظرة ملئها العتاب والألم. وعلى
الرغم من آلامها قالت:

. شايفاك مبسوط يبقى الأهلي غالب.

ثم صرخت فجأة في أم، وأمسكت بيدي في شدة وكل قسماتها
تنطق بالعذاب، ثم قالت:.. جمجمة لو حصللي حاجة خد بالك من
المولود.. ما تخليهوش عايز حاجة
قلت محاولا تلطيف الموقف:

. يا ستي هبقى ارضعه ما تقلقيش المهم تقومي بالسلامة
ثم دخلت الدكتوراة وطلبت مني الخروج.. طبعت قبلة على رأسها،
وخرجت.

اليوم الخميس

التاريخ: 2006/9/21

الساعة: الثامنة وخمس دقائق

خرجت من باب حجرة الولادة، وما إن أغلقت الممرضة الباب
ورائي، حتى انفجرت باكياً..

بكيت بكاءً لم أبكه من قبل في حياتي..

كانت كل صرخة من صرخاتها تقطع نياط قلبي..

كل ذرة ألم شعرت بها، كم تمنيت لو أزحتها عنها..

كنت خائفاً أن ترحل وتتركني..

أخذت أدعو الله أن يرجعها لي بالسلامة..

لم أكن مهتماً بالطفل قدر اهتمامي بها ولعودتها..

وراحت الذكريات تتوالى.. ليلة العرس..

أول قبلة..

أول ابتسامه..

أول خناقة..

أول خصام..

كنت أدعو الله وأنا أبكي ألا يجرمني إياها..

أن تظل معي..

من سيتحمل شخصاً مثلي؟!..

ببروده..

بعاطفته..

بحزنه..

بفرحه..

بقلبه..

من سيتحمل عصبتي، وغضبي، وهفواتي.. وغبائي أيضاً؟!!

وانطلقت صرخات أخرى من الشارع.. ذهبت إلى الشباك مسرعا
ومتسائلا عما حدث.. الحمد لله، أحرز الأهلي الهدف الثالث. ومع
الهدف الثالث، سمعت صرخة خافتة، انتفض كياني كله من أجلها..

صرخة الطفل، انطلقت صغيرة خافتة..

ما لبثت أن اختفت، ما جعلني أقفز من مكاني ثلاث مرات
متتالية.. لقد ولدت..

تمت الولادة بحمد الله..

انتظرت خارجًا بجوار حماتي وابنتها أمام الباب.. وما إن انفتح
الباب، حتى ذهبت إلى سرير زوجتي المستلقية عليه غير دارية بشيء مما
حوّلها..

لم تر أمها ولا أختها، بل نظرت إليّ قائلة في حنان:

. ن - ور.. ن - ور جت يا جمجمة.. بص عليها كده شبهك
صح!!؟

كانت آخر آمنيات حياتي أن تكون ابنتي شبيهي، ولكنها الحقيقة
المفزعرة.. نسخة طبق الأصل.. (بس على صغير)

ما لبثت أن هتفت حماتي:

. شايف البنت بتحبك قد ايه جابتها شبهك

حملت ابنتي في سعادة.. أذنت في أذنيها، ثم كبرت وتلوت
المعوذتين، ووضعتها بجوار والدتها.

المهم في هذا كله، أن الأهلي غلب 4 صفر، وفلافيو (اللي عمره
ما كان يبجيب اجوان جاب 3 اجوان).. حكمتك يا رب!

SMS

أم نور
كم تحملت كثيرا من أجلنا
كل كلمات الحب لا تعني شيئا أمام وفائك.

نور
أول لمسة من يدك
أول ابتسامة منك
أول سكر «قبلة»
أول «بابا»
أول «بابا هيبى»
انت الحياة
اللهم اجعلني أبا صالحا لها
سبع سنوات مضت منذ ذلك التاريخ.. اليوم تتم نور عامها
السابع..
حبيبة عمري وأيامي وسنيني
حبيبة قلب بابا..
كل سنة وانتِ طيبة يا عمري

الحب..
تلك الكلمة التي حيرت الفلاسفة والعشاق..
بل حيرت العالم كله..
شعور عجيب..
غامر.. ثائر..
جارف..
هادئ..
شعور المتناقضات كلها..
ماذا تقول!!?
نعم أنت..
يا من تتذكر حبك الأول الآن..

في تلك اللحظة..
وأنت تقرأ تلك الكلمات..
تسألوني هل أحببت؟؟!!
نعم أحببت..
بل كنت أكثر العاشقين تموراً..
وجنوناً..
ورقتي التالية عن «منسية»
وحب «منسية»
دعوا قلوبكم ترتعد..
من كل هذا الحب..
إليكم حكايا قلب «منسية»
و «سعيد»

— 8 —

— أوراق منسية —

حين عادت «منسية» إلى فراشها وحيدة تلك الليلة، بعد جنازة زوجها «سعيد»..

كانت تحمل في داخلها كل المتناقضات..

وكأنه كتب عليها أن تعيش يتيمة..

وحيدة..

شريدة..

حتى عندما كانت تعيش وسط عائلتها في بيت أبيها..

كانت آخر من يفكر فيه الجميع..

دائمًا «منسية»..

اسم على مسمى..

تشعر باليتم، رغم أنها تعيش بين أبيها وأمها..

وحيدة، لولا أنها تهاجر بأحلامها بعيدًا عن واقعها..

شريدة، حتى أنها لا تعرف وطنًا يضمها..

يحنو عليها..

يبعد عنها ضربات القدر..

ورغم كل ما شعرت به من ألم..

تملك في نفسها ثقة بلا حدود..

وتدرك أنها تستطيع أن تبني بيتًا وعائلة..

لذا، لم تتردد لحظة واحدة، عندما تقدم «سعيد» ذلك الشاب

الأسمر للزواج منها..

تعلم منها كيف تكون الزوجة..

وعرفت منه معنى الحب..

كيف لا، وهو الوجه الذي حلمت أن تراه كل صباح بجوارها على
الفرش..

كيف لا تحبه، وصوت إيقاع أنفاسه هو موسيقى الهدوء في رحلة
نومها..

كان قادرا أن يحتويها بحق..

أن يجعل من رجولته درعا لأنوثتها..

كان يفهمها من عينيها، دون أن تتحدث..

لأول مرة تصيح «منسية» الكون كله لشخص ما..

وكان هو فلكها الذي تدور حوله..

لم تدم تلك السعادة سوى شهر خمسة..

حتى توفي «سعيد»..

ومنذ رحل عن دنياها، ما زالت تأتي إليه كل يوم..

وكل دقيقة، بتوقيتنا نحن الموتى..

وكأنها كانت تخزن كل كلمات الحب والعشق والهوى لتخبره إياها..

كانت تأتي إليه، وتحدثه، وكأنها تبعث له كل الحب..

كانت ساعاتها تمر بالشوق والحزن..

والدمع والعشق..
والجنون..
الآن نسمعها تقول..
وحدك حلمت بك أن تكون أبي ورجلي وطفلي!!..
طفلي.. لتولد مني من جديد بلا أحزان..
ورجلي.. لأخلق من ضلعك..
من أشد ضلوعك اعوجاجًا..
وأكثرها قربًا لقلبك..
وأن تكون أبي، فقط لأكون من صلبك..
فلا يكون لي انتماء لغيرك..
كم امرأة منا ستجد رجالاً تعرف أنه وطن..
وأنه ككل الأوطان..
كما تطرد تحتضن..
وكما تغيب تعود..
وكما تكبر يبقى الصبا فيها..
وأنه مهما بعدنا ورحلنا، تبقى هي الانتماء..
أنتَ انتمائي ووطني وعنوايي وإجابتي الصحيحة..
وفوق كل ذلك، الصادقة..

أفبالله لا أنتظر لقياك!!
كم جميل أن تكون رجل الملدات والبراءات..
دعني أكتشفك وأعشقتك ببطء..
لماذا الاستعجال؟؟!!
دعني أولد من جديد على يدك..
مع كل كشف جديد..
يكفييني من عطايك أن أستمد أنوثتي، تلك التي أحتفي بها منك!!
قرأت ذات مرة..
«أن ما ذُكر الذكر هو ما أنث الأنثى»..
جميل أنه بوجودك تصيح الماثورات حقيقة..
بل وإدراك..
أحبك..
وأشتاقك..
«لكل شيء زكاة وزكاة القلب الحزن»*
يا الله..
هل تراني قد وفيت ما كتب على قلبي من زكاة في بعدك؟؟!!
أعتقد ذلك!!
لقد زكيت حتى لآخر عمري بكل الحزن..

وفعلتها سرًا..

لعلها تقبل.. ووفيت ما لله على قلبي من زكاة..

لعل بما لا ينقص من قلبي شيء..

«تبقى المرأة متوازنة، حتى تتذوق رجلاً، فيخلط في داخلها كل

شيء.. بدءًا بلسانها.. مروراً بقلبيها وماضيها وحبها ووفائها»*

هكذا هو أنت..

زلزلت توازي..

أو ما أستطيع أن أقول عنه وهم اتزاني..

لم أكن أعلم قبلك..

أن للسماء أرضاً..

وأن للبحر قلباً..

لم أكن أعلم أن للهوى طعاماً..

وأن للشوق رائحة!!..

قلب يبيض بألف رجل..

أذكر كلماتك الأولى لي..

وكأني لم أكن أحيأ إلا بوجودك..

كلما تذكرتها.. ازددت جنونا وحباً..

«صدقيني، دفء قلبي يستمد دفئه من قرب قلبك..

صدقيني، ظلمة الليل وموج البحر لا يساوي همس صوتك..
صدقيني، أحبك..
وأشعر بالأمان..
كل الأمان..
بجوار قلبك..»
وصدقت..
وعشت الأمان بقربك..
وتعلمت الحب على يديك..
والآن..
كيف لي أن أحيا دون عينيك..
وأن أتنفس دون رائحتك بجواري..
«سعيد»..
اسم على مسمى..
فمن يراك كان يرى السعادة متمثلة في إنسان..
و «منسية»
اسم على مسمى ايضاً..
فلا أحد إلاك يحتويه وأبقى في قلبه إلى الأبد..
وستبقى في قلبي إلى الأبد..

الآن أعيش الخريف، وأستشعر قرب وصول الشتاء..
كم أعتب عليك.. كيف استطعت أن تغيب وتتركني وحيدة
للشتاء؟

في بعدك، تبدو الكلمات شديدة البعد والصعوبة..
كم تبدو السعادة بدونك بعيدة، كأنها لم تعد تعرف لي عنوانا، من
تاه فينا، هي أم أنا؟..

أفكر كيف لم تترك لي من جناحك ريشة، أكتب بها في أيام الشوق
أجمل قصائد من حروف اسمك.

أعود إلى أوراقي، في داخلي رغبة حقيقية في الكتابة، أستشعر نفس
الحالة عندما تنزل الكلمات حتى أطراف أصابعي، معلنة أن موعد
الكتابة قد جاء، فأمسك القلم وأكتب فقط اسمك، وتقفز الكلمات
من على حافة اسمك إلى العدم، فما استطعت إحداها أن تنافس جمال
اسمك لتكتب بجانبها.. اسمك وبياض الورق وسطور الانتظار.. بلا
نقطة نهاية.

أعود إلى وسادتي، أتلمس أحضانك ولمساتك في دفء استدارة
خاتمك حول إصبعي، و يجتاحني الحزن كالغطاء، وأنام.

تمر الساعات بلا مرور، كأني طريقها الوحيد، نقطة الانطلاق ونقطة
النهاية، فبقى على روعي لا تتحرك..

وتمر الأيام، لا اعتدت الغياب، ولا اقترب اللقاء بما يصبرني على
الانتظار.

أنظر إلى صورتك، وتجذبني عينك الحزينة ..

أي سحر وحنان هذا؟!!!

وهذا الكف الذي طالما أعطاني

الأمان ..

ليت كان للصور صوت!!

كم اشتقت لهذا الصوت الذي حمل الفجر على نبراته .. هذا
الصوت الذي استطاع بحق أن ينير لي ليالٍ طويلة.

ولأجله، انتظرت ليالٍ ..

وسأنتظر أكثر وأكثر ..

فقط لأجل أن أصل إلى حضورك.

أسحب أوراقك لي من تحت الوسادة ..

وأجلس ..

أسترجع شكلك وأنت تكتبها، وأحسدها .. !!

فليتني كنت واحدة من تلك الكلمات ..

فمهما مر الزمن، ستبقى أبد

الدهر كلماتك ..

ليتني كنت منك أبد الدهر .

أمسك أوراقك ..

وأقرؤها بقلبي ..

((ومرة أخرى نعود..
ثانية نجتاز الحدود..
حدود الزمن..
ويتيح لنا القدر فرصة لقاء أخرى..
أيها القمر..
مالك تبدو حزينا وكئيبا؟!..
أين ابتسامتك العذبة، ونظرة عينيك الجميلتين؟!..
ماذا تخشى أيها القمر؟..
من سرق منك ابتسامتك؟!..
ألم تأت اليوم لتسمعي كما تعودت؟..
ألا تشوق أذناك لي؟!
إذًا، فاذهب إليها..
فلتنظر إلى عينيها..
ألم تتذكر شيئاً؟!؟!?!..
ألم تسترجع أصلك؟!?!?!..
انظر ثانية..
ألا تشعر بالحنين؟..

ألا يشملك حناهما ودفنهما ..
ألا يسحرك جماها؟..
ألا تبهرك سلاسل الذهب السائلة بلا حساب؟..
ما زلت خاويًا كاسف البال حزينا..
لا ترجع إليّ .. بل اذهب إليها ..
وانظر إلى شفيتها..
هل رأيت من قبل نهرين بهذا الصفاء؟؟؟!!..
بهذا الغنى .. بهذه البراءة
من أين لك بتلك البسمة؟..
كالنسمة ترفرف بمن يراها على جناح الحب الوردي؟!..
إنها دقات الحب..
أو دفء الهوى..
أو نبضات عشق كامن..
كاللؤلؤ في المحار..
انظر إلى حديها..
امسك عليك يدك..
لا تقطف شيئًا من زهورها..

منهما هبة الإله..

هل عرفت من أين أتى الفجر بنسائمه الوردية!؟

هل عرفت سر جمال الزهور؟..

هلاً أدركت كيف يكون العبي - ر!؟..

لم عدت إلي؟؟؟!!..

ولكن ما هذا؟؟؟!!..

إنك تبسم لي في حنان.. تهنئي بما ..

تدهش حزني ...

إني خائف يا صديقي ..

خائف من تصاريف القدر ..

أخشى أن أحرم من نور عينيها.. وليل شعرها.. وحلو حديثها..

أخشى أن أظل وسط الموج الشرس، بعد أن كان لي مرسى..

أخشى لأن معي كل الكون..

هل تدرك معنى أن تفقد كل الكون..

وتعيش بلا معنى.. بلا هوية.. بلا وجدان ..

حائراً.. وحيداً تدق على كل باب..

وتطارد كل وجه فيه ملمح منها..

تتعقب عطر خطواتها..
وتعيش على ذكرى نغمات نبرات صوتها..
هل تعرف أن تنتزع روحك منك وأنت حي؟!..
ماذا تقول؟..
إنها لقسوة أن يفعل بي ذلك ..
إنها لوحشية يا صديقي.. ليست مجرد قسوة..
إنها الموت ببرودته وجموده..
بماذا تهمس؟..
لن يقترب مني الموت..
سيفر أمام الحياة المتفجرة منها..
لن يجروء على الوقوف أمامها..
هذا ما أظنه..
وهذا ما يبعث في عروقي دماءها..
إنها معي.. إنها الحياة.. وبعد الحياة لا أخشى شيئاً، ولا ألتفت
لشيء..
لأكن معها..
فلأحيا قليلاً..
ولتصمت يا عقلي اللاهث خلف خوفك صمتا وسكوناً..

فأنت في حضرتها..
وأتيت..
بعطر الربيع على شفثيك..
بأنعام المساء في عينيك..
ومددت لي يد الحياة..
وألقيت لي طوق النجاة..
وتعلقت بأذيالك..
بنبضات جمالك..
قد أفر منك يوماً..
عندما تغرب شمس الحياة..
قد أهرب إلى عينيك..
قد ألوذ بشاطئيك..
قد أحتمي بجفنيك..
قد أجا إلى عروقتك..
أستمد منها معنى الحياة..
قد أذهب إلى قلبك..
لأوقع عليه برقة..
نغمات نبضي..

علِّك تعرفين..
كم في قلبي تساوين..
يوماً ما ستعرفين..
حين يقيسون..
نبضات الحب..
ولطف العيون
كم يحسبون..
كم يساوي الحب ينفق بلا حساب..
في هوى أميرة الدنيا..
وضياء السماء
حين يدركون..
أن ابتسامة ونظرة وخطوة..
هي الأرض والسماء والنجم..
هي السحر في عمق اليم..
هل تعرفين كم أكابد الحياة بعيداً عنك..
هل تعرفين قسوة أن أستمّر بنبضات من قلب غير قلبك..
وأنفاس من ثغر ليس ثغرك
وابتسامة من ساحرة غير عينيك..

ونغمات من وتر ليس رمشك..

إني من الشوق ذائب..

وعن الحياة غائب..

حتى أكون بجانبك..

معك..

بين أحضان عيونك..

يومئذ سأعلم أن أعيش..

يومئذ سأعرف معنى أن أحيأ..

وقتئذ سأخاف من الموت..

وأخذك الموت يا كل عمري..

يا حياة تنفجر في كل ما حولك..

وتركتني..

يا من أتيت لتزرع في روحي الخوف الحقيقي بألا أكمل معك رحلتي

في تلك الحياة..

يا من علمتني بحق كيف أن الخوف هو نصف الحب, وأن الأمان

هو كل الحب

وأن الحب معك كما يعطي الخوف يعطي كل الأمان..

وأن غداً يأتي من دونك لا يحسب من الأيام..

أحبك، وألف مرة أحبك..

مهم
اقتربوا ..

اقتربوا اكثر ..

هل الجميع منتبه هنا !!؟

فلتتركوا كل شيء خلفكم ، فأنتم في حضرة الأموات ..

لن تنضب حكايات الموتى ..

فالحقائق كل الحقائق هنا فقط !!..

والزيف كل الزيف يتملككم ويتملك دنياكم من الشرق إلى الغرب

..

يغير الموت الكثير ولا يتغير !! ..

هل جريت ان تموت ؟!

أن تواجه الموت دون ميعاد مسبق او تخطيط كعادته !!؟

ألا تجد هواءً كي تننفسه !

أن تمر حياتك أمام عينيك في لحظة ..

أن تتسائل والموت يغمرك من كل جانب ، هل هذه سكرات الموت

حقاً ؟!

أم ان العذاب قد بدأ للتو !!

لا شيء ينتشلك من ألمك ومعاناتك ..

والموت يحيط بك من كل جانب !!

نصيحة ميت !!

نصيحة أكرها فقد تملون من سماعها ..

نصيحة عشت بها مكتوبة على هاتفي لأراها كل لحظة ..

((لا شيء يستحق))

— 9 — أحلام

استيقظ ((حسام)) من نومه وشعور بالارتياح يغمر كل كيانه ،
كان غريباً ان يستيقظ دون أن يضبط منبهه ، أو حتى دون أن تفقد
أمه الأمل في استيقاظه تاركة إياه ودعواتها بالهداية تملأ أذنيه .
تمتع في كسل ثم نظر إلى ساعته وعقاربها تشير الى السابعة صباحاً
إلا بضع دقائق .

— ((ما زال الوقت طويلاً)) —

هكذا حدث نفسه ، اعتدل جالساً على سريره ونظر إلى غرفته
وابتسامة ترسم على وجهه ، فتلك اللبلة الأخيرة التي ينام فيها على
سريره في بيت أبيه اللهم إلا في زيارات فيما بعد ..

فاللبلة ليلة زفافه إلى أحن وأجمل وأرق مخلوقة بالكون كله

قطع أفكاره طرق خافت على باب غرفته ، عقد حاجبيه وهو
يتساءل عمن سيأتي إليه في تلك الساعة ، اتجه إلى باب غرفته ليجد
والده وابتسامة حانية تملأ وجهه وهو يقول :

— هل أيقظتك !؟

- لا لا أبداً ، كنت مستيقظاً بالفعل ، تفضل يا والدي .. تفضل .

دخل والده إلى الغرفة وهو يغلق بابها ورائه قائلاً :

- دعنا ندخل في الموضوع مباشرة إداً ، طبعاً انت تعلم ما عليك فعله الليلة .

ابتسم وقسماته يعلوها الخجل من والده الذي لم يتوقع ان يحدثه في هذا الموضوع مباشرة :

- طبعاً ، أعلم

اتسعت ضحكة والده وهو يجلس على مقعد بجوار سرير ابنه قائلاً:

- إذا إليك الوصايا التي اخبرني بها جدك ، والتي جاء دوري لأخبرك إياها ، يا ولدي تلك الوصايا صالحة كل زمان فلا تستخفن بها

ثم اخذ يتلو وصاياه في هدوء و ((حسام)) يستمع ، فيهتم مرة ، ويبتسم مرات ، ويخجل أخرى .

كانت تلك الوصايا قيمة بحق ..

وصايا دنيا ودين ..

وحياة ..

وعندما انتهى والده قام ((حسام)) إليه وأمسك بيديه وقبلها ثم وضعها على جبينه كما تعود أن يفعل دائماً ، ثم قبله والده على جبهته واتجه الى باب الغرفة وهو يدعو له :

- وفقك الله يا ولدي ، وسدد خطاك ، ورزقك برها ، وأعانك عليها ، وأعانها عليك ، ورزقكم ذرية صالحة .

ابتسم ((حسام)) وهو يتذكر وصايا أصدقائه ليلة امس ويقارنها بوصايا والده قائلاً في أعماقه :

- قبحكم الله من أصدقاء

أمسك هاتفه وطلب رقماً ظهر على شاشته اسم ((جنتي)) وارتاحت عيناه على صورتها الضاحكة ، لم تمر ثوان حتى سمع صوتها على الطرف الآخر وهي تقول:

- السلام عليكم .

كان ما يدهشه بحق هو قدرتها على أن تغير حالته بالكامل بكلمة منها !! ..

أحبها منذ وقعت عيناه عليها للمرة الأولى ، سحرته بكل ما تحمله الكلمة من معنى ..

تغير عمره كله بنظرة واحدة ..

تحول من النقيض إلى النقيض ..

لم يكن يوماً مهتماً سوى أن يعيش لذاته ، لم يلتفت لامرأة قط ..
إلاها ..

زلزلته وعصفت بكيانه فصار ملكاً لها ..

انتبه على صوتها وهي تكرر :

- السلام عليكم ((حسام)) ما بك !؟
- لا شيء يا ((جنتي)) لا شيء ، كيف حالك ؟
- الحمد لله ، استيقظت مبكراً على غير عادتك ، خيراً إن شاء الله .

ابتسم وهو يقول :

- ها قد بدأنا ، خير طبعاً ، فقط أحببت أن اطمئن عليك .
- ممم ، تطمئن عليّ ، أنا بخير يا حبيبي ، فقط أخبرني ما الذي يدور برأسك !؟

- طلبت منك شيئاً ولم تفعل به لي !!

- أعرف وأستغرب طلبك وفي تلك الليلة بالذات ولكني سأفعله لك ، والآن لا وقت لدي فيومي طويل جداً ، أراك في المساء إن شاء الله

- إن شاء الله

- إن أغلقت ((جنة)) هاتفها حتى اعتدلت وأمسكت بمصحفها الصغير وأخذت تتلو آيات الذكر الحكيم ، ظلت تتلو لنصف ساعة ونور يغمر قلبها ومحياها .

ثم اتجهت إلى دولاب ملابسها والتقطت من داخله علبة مطرزة فتحتها في هدوء وأخذت من داخلها أوراقاً وابتسمت وهي تقرأ ما على سطور تلك الأوراق ومدت يدها داخل العلبة لتلتقط قلماً وأخذت تخط به على أوراق بيضاء إلى جانبها .

((طلبت مني أن أكتب لك شيئاً ويخط يدي لأخبرك أمراً لم أخبره لك من قبل لأهديه لك في ليلة زفافنا ، كان هذا اتفاقنا منذ الخطوبة .

في الحقيقة هناك بالفعل العديد مما ارغب في قوله والشعور به معك ، لكن ما في الأمر ليس الخجل بقدر ما أن الميعاد كان لم يكن بعد .

وها قد حان الميعاد يا من صليت لله لأجل أن تكون إلى جوارى وإلى الأبد .

يراودني بقوة سؤالك الدائم لي :

– هل تمتلكين هذا القلب حقاً ؟!

– هل تحبينني حقاً بهذا القدر ؟!

وقد أجبتيك ولا أعلم إن كنت تذكر أم لا ؟! ، ولكني سأجيبك مرة أخرى ويخط يدي ليكون توثيقاً لكلماتي حتى تذكر دائماً أنني أحبك من البداية ..

أحبك .. ومهما طالت رحلتنا احبك ، حتى لو تناسينا هذا الحب سيبقى موجوداً حياً حتى نتذكره ، كيف لا احبك وأنت ستري وخطائي وأمني وأمانى ودفتي في هذه الدنيا !!؟

كيف لا احبك وفي أوقات سنكون واحداً صحيحاً؟! ، ستكون
أباً لأولادي وسأري ملامحك في وجه أحب المخلوقات إلى قلبي ..
عندما تكون أنت في نظري نقطة ارتكاز ، فكيف لا ارفع عليك
كوبي وعالمي؟!

أحبك لأنك قادر بحق على ان تحتويني ، لأنك استثماري
.. أحبك ..

وقبل كل ذلك تذكر ..

أني خلقت من ضلعك أنت ..

ومن أقربها إلى قلبك ..

أعلم جيداً أني لست أجمل النساء ، ولا أفضلهم ، وانظر لك
بموضوعية وأقول كاذبة بأنك أيضاً لست أفضل الرجال ، ولكن
الصدق أني أرى نفسي أفضل النساء لأنك أفضل الرجال .

أتعلم يا ((حسام)) أفكر فيك ماذا أرى!!؟

أرى فيك أحلامي المحققة ..

فيك أرى بيتي الذي أحلم أن نبنيه معاً يداً بيد .

لا اذكر إن كنت أخبرتك عنه ، ولكني سأخبرك به هنا وعلى الورق
ليكون توثيقاً آخر لتذكر دائماً ما أتمناه من الحياة فيك .

أحلم دائماً ببيت من طابقين مبني على نفس طراز البيوت الأموية،
دائري البناء حتى تدخله السعادة وتظل تدور فيه دائماً .

مفتوح السقف ، في صحن الدار وورود ورياحين مزروعة لليالي
نقضيتها انا وأنت نتحدث وننظر إلى نجومنا في ظل رائحة تجبها أنت
وأطمئن انا لها .

أحلم أن يكون باب كبير مفتوح دائماً مرحباً بكل حبيب وقريب ،
وأن يكون هذا البيت بيت عائلة ، سأنجب منك شباباً وبناتاً ليبقى
بيتنا عامراً بالرجال والنساء والشباب والفتيات والأطفال ، وأراك
تجلس على رأس الطاولة وحولك تلتف عزوتك وتنظر لي نظرة اعلمها
جيداً.

سأبني غرفة نومنا فسيحة كقلبك ، بزجاج ملون وشبابيك كثيرة
حتى توفظنا الشمس كل يوم بألف لون سعيد كحضورك .

سيكون مطبخي كبيراً نجتمع فيه في الأعياد بناتنا وأخواتنا نعد فيه
ما يستحق فمك ومن أجمل ما يؤكل لك فقط .

أحلم بصور كثيرة ..

احلم بما وأتمنى من الله أن أحيها معك .

وأجمل صورة على الإطلاق يوم نشيخ وأنظر لك وأراك كأول مرة
رأيتك فيها ، وحي لك وحبك لي دائماً في حياة ..

((حسام)) أرغبك كحياة لي ، كغد أحياء معك ..

وتذكر يا هدية عمري أني أحبك ..

ومع كل وردة تفتح أحبك أكثر

الثالثة عصرًا

الكل متأهب في بيت ((حسام)) والقفشات الضاحكة تملأ
المكان ، و ((حسام)) في شغل عن كل هذا .
عقله مشغول ببيت ومسئولية سيتحملها بعد ساعات ، وتساؤلات
حيرى تملأ جوانحه ..

هل سأكون حقاً على قدر تلك المسؤولية؟!

هل سأسعددها؟!

هل سأكون لها رجلاً يحميها من تقلبات الدهر؟!

هي لا تستحق أقل من هذا ..

رجلاً يحمل عنها عبء الحياة ويجعل كل أيامها سعادة وهناء ..

هكذا كان يتمنى ..

ويحلم ..

لم يكن يدرك أن ساعاته القليلة القادمة تحمل له الكثير

ساعات فارقة بين الحياة والموت ..

السابعة مساءً

الشارع يضح بالزغاريد أسفل منزل ((جنة)) ، والكوافيرة تنهي
عملها و ((جنة)) تبتسم في صفاء ورضا ، صديقاتها يتضاحكن حولها

ومنهن من قرصتها في ركبتهأ أماً في عريس وهمي يظهر في أسبوع
ويحقق أحلامهن .

تدخل أماً تنظر إليها والدموع تملأ عينيها ، تذكر أياماً حملتها بين
يديها تهددها وتحلم بيوم تصير فيه عروساً تملأ الدنيا صخباً وحياة ،
وهاهو حلمها يتحقق أن تكون أم العروس ، بل أجمل عروس رأتها
عيناها على الإطلاق .

أصوات تنبيه السيارات المعتادة للأفراح تملأ الكون كله وتبشر
بقدم العريس ، تظهر إحدى صديقاتها قادمة من البلكونة قائلة
بصوت فرح ضاحك :

- جاء العريس .. جاء العريس

تترود وجنتا ((جنة)) خجلاً وحباً ولهفةً ، يدخل والدها الغرفة ما
إن رآها حتى توقف لحظة واغرورقت عيناه بالدموع واختلجت بداخله
كل المشاعر ثم جرى إلى ابنته يحتضنها في حنان ، مسح دموعاً أغرقت
وجهه، ثم تأبط يد ابنته متجهاً بها إلى شريك حياتها المنتظر أسفل
البيت .

الكل مبتسم وفرح، وأصدقاء حسام يداعبونه وصوت ضحكاتهم
يملأ المكان ، يقترب أحدهم منه هامساً أن ها قد جاءت جنتك !!

يلتفت إلى مدخل البيت وما إن وقعت عيناه على عروسه حتى
ابتسم والحب يظهر في بريق عينيه اللتين التقتا بعينيها في حوار ساحر
صامت محبب .

تقدم إلى والد جنته فاحتضنه وقبله وأسر الوالد بكلمات في أذني
((حسام)) فابتسم وهو يهز رأسه إيجاباً ، ثم أمسك يد عروسه
وتأبطها وهو ينظر إليها وكل ملامحه تنطق بما يدور في قلبه ، فتح باب
سيارة العرس ووضع يده على رأسها وهي تهم بركوب السيارة ، ما إن
اصبحت ((جنة)) داخل السيارة حتى انطلقت الشماريخ والزغاريد
تدوى حد السماء جلس إلى جوارها وارتاحت عينها إلى عينيها
واستكان قلب كل منهما للآخر واحتضنت يده يدها في حنان.

مالت على اذنه هامسة وهي تبتسم :

- فعلت ما طلبت مني .

ابتسم في ارتياح وربت على يديها في هدوء .

ثلاث ساعات مرت وهما بين الأقارب والأصدقاء والأحباب ،
الكل يعبر عن فرحته بارتباطهما ، والابتسامة والرضا يملآن كل الوجوه

لم يدرك الجميع لحظتها أن الحياة صفقة قاسية، فهي تسلبك عمرك
ولا تعطيك إلا بضعة ثوان .

ارتجفت كغصن في مهب الريح حين سمعت صوته وهو يتلو القرآن
أثناء صلاتهما الأولى في بيتهما الجديد ، كان صوته شجياً نقياً يملأ
القلب إيماناً وحباً .

أخبرها انه سيفاجئها بعد أن وضع أوراقها على الطاولة قبل الصلاة

تسمع القرآن من بين شفثيه فتزداد خشوعاً وحباً .

يبدأ حياته وهو يقرأ ما تعلمه على يداها .

لم تسمعه يتلو سوى الآن، أي حياة تلك التي تبعثها بالقلوب وأنت
تقرأ

يصدح وهو ينهي ركعته الثانية ((الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر
الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب))

يهتف قلبها وكيانها كله ((يا الله))

يتوقف النبض ويسقط الجسد وتعلو الروح وصداها يردد

((يا الله))

يا لغبائكم !!؟

تقترفون الذنوب ، وترتكبون المعاصي ، ثم ترجون الرحمة وتهابون

العذاب !!

قليلوا الحيلة ..

بل وعاجزون أيضاً .

تبحثون عن تبرير لأفعالكم الحمقاء ..

تتجبرون وتعصون وتظلموا أنفسكم قبل أن تظلموا الآخرين من
حولكم ..

رجال بلا شرف يعدون ويخلفون ..

ونساء وقعن في بئر الخيانة وانغمسن فيه ..

وكلهم يرجون الرحمة !!!؟؟

بالله عليكم ..

من أنتم !!!؟؟

— 10 —

— ! —

استيقظت على غير عادتھا حين سمعت صوت الأذان يجلجل صداه
في الأنحاء .. لأول مرة منذ أعواما طويلة تشعر به قريبا جدا منها ..

تشعر وكأنه يخرج من بين نفحات قلبها ..
أزاحت الغطاء عنها متمردة وذهبت تجلس وحيدة في الصالة
كعادتها ، شعرت بأن كل شيء حولها غريب !؟
جوفها البارد ، نظرات عيناها اللتين تصرخ دوماً بالأمان
تنتقل حائرة هنا وهناك ..

قررت أن تتجول في الحديقة قليلا ، وما إن فتحت باب منزلها حتى
افترتها موجة باردة عاتية، جلست فوق أرجوحيتها وصرير الصمت
ينهشها بأنيابه ببطء..

التفت حولها يمينا ويسارا ، لم تجد المدينة كعهدها السابق!؟
هناك شيئا ليس على ما يرام؟ وكأنها أصبحت في مدينة الموتى!!
لملمت أطراف ردائها تستجمع دفئا يستحيل الحصول عليه ، وفي
وسط ذلك الصمت الذي يخيم على المكان وعلى أرجوحيتها الأثيرة
أغمضت عينيها ..
وتذكرت ..

أخذت الذكريات تتداعى إلى ذهنها وبدخلها تعصف ملايين من
البراكين والأسئلة ..

ترى من باع !!!؟؟

من خان ؟؟؟؟

أي حب هذا الذي وإن مضى رغم جرحه يستدعى معه الأمان !!!؟؟

نظرت إلى ساعتها التي ترتديها بمعصم يدها اليمنى فوجدت عقارب
الساعة تشير إلى الثانية صباحا ..

تعجبت كيف لها أن تكون الثانية وهي ذهبت إلى فراشها في الثانية
صباحا!!

عادت مرة أخرى إلى دوامة ذكرياتها، عيست ملامحها حين تذكرت
بأنها قضت أعوامها الأخيرة كزهرة يُسحق رحيقها دون أي مقابل ، منذ
طفولتها وهي تعاني من حياة بائسة شريفة، منذ طفولتها وهي مُحطمة
القلب..

فماذا سيتغير حين تكبر!؟

غانية هي !!

نعم هي كذلك ..

ولكنها حاولت مرارًا وتكرارًا أن تنقذ نفسها من براثن تلك اللعنة

..

ولكنها كانت تغوص في خبث القاع أكثر وأكثر في كل مرة ..

والسبب هو ..

دائمًا هناك هو ..

دعني أحدثك سيدي ، يا من كنت سبباً مباشراً فيما أنا فيه ، دعني

أذكرك وأذكّر نفسي

يوم أن قلت عني عاهرة ..

أتذكر أول مرة قلت عنى عاهرة !!؟ ..

يوم أحببتك كما أريد وكما يكون الحب لا كما تريد أنت , يوم أن
أصبحت أنا , وتكشفت ضآلتك أنت ..

صدقني لا ترهق نفسك بالبحث لك عن عصر جديد لك فيّ ,
فقد انتهيت من عندي ..

ربما لو أصبحت رجل آخر فأملك فرصة ما ...

دون ذلك لا أظن .

اسمح لي أن أضع على كتفي عبائتي , أسدل على رأسي خماري و
أرحل ...

أنت تعلم أن طريق العاهرات طويل , و أن مكاني فيه بفضلك
محفوظ ,ربما أعود , أعود كما كنت من قبلك أرض اختلطت سوادها
بأحمرها , خصبة يشقها نحر تحت الشمس ..

لأعود من جديد وطن

وطن يزهر في أرض جديدة ويصنع عالما من جديد ..

اتسعت ابتسامتها أكثر وهي تظن أنها قد أنهت ما لديها ..

ولكن مازالت تراتيل الصلاة تتطاير من حولها وبدخلها !؟

ابتسمت مرة ثانية حين ومض أمامها آخر مشهد لذلك اللقاء
الناحر بينهما ..

طلب منها في تلك الليلة أن ترقص فوق جسر الهاوية وكأنه يريد
أن يذيقها من العذاب سوطا آخر ، وافقته لأنها كانت تراه رجلا دمث
الخلق !

رأت في أحضانه الناكرة دفأ كاذب لعين ..

فسقطت في بشر أوهامه ..

رقصت وخلخالها كان يدق بوهج الحب لقلبه ..

لم تعلم حينها أنه في تلك الليلة ومع كأس الخمر سيتجرع ما بقي
من شرفها !

ألقي مالا على الطاولة وقال وقد تكشفت أسنانه الصفراء
العوجاء:

انتهيت منك ولم أعد أرغب في لقاء آخر !!!

كانت تلك الصدمة التي قسمت ظهر البعير ..

جعلها كأضحية قُتلت بسكين بارد ..

فأختارت خريرة القوى ..

لم تصدق ما قال!

فصرخت تستنجد ببقايا رجل قد يكون مازال يقبع بداخله:

- وحيي؟

- أي حب هذا أيتها العاهرة الذي تتحدثين عنه؟ هل للعاهرات

قلوبا وجلة؟! بأي ثقة سوف أجعلك زوجة؟!!

استيقظت من شرودها على ضوء الشفق وهو يحيى من جديد من
بين سكنات دُجى الليل ..

ساعة مناسبة للغاية حتى تهرب و تذهب لترتاح ..

قامت واتجهت إلى غرفتها وفتحت خزانة ملابسها، لا تراها فالنور
مطفئ ، تلتقط ما طالته يدها ..

تسير حافية على ارض تترنح ما بين برودة و حرارة بحدوء كقطة
حتى لا يسمعها احد

تدخل الحمام , لا تشعل الضوء , قررت أن تستحم في الظلام كما
كانت روحها تفعل دوما في زمن من الأزمان, في معبد ما في أرض ما لا
يعرف أحد شيء عنها الآن .

تخلع ملابسها كما لو أنها تخلع عمرها

وسؤال ينهشها من الداخل ماذا أفعل هنا !؟

هذا مكان لا يشبهني, و زمان لا يحدثني, يا إلهي ماذا سأفعل !!؟؟

تتنهد بعمق .. تفك خصلات شعرها موج , أسود عنيد ..

هو شعرها لذلك يشبهها , تمرر أصابعها خلاله لعل حزن علق فيه
فكان له أن يسقط مع ما يتساقط من شعرها .

تفكر أن تقصه , لكنها تذكرت أن المرأة لا تقص شعرها إلا لو
كانت تنهى أو تبدأ علاقة جديدة

و هي لا ذلك و لا ذاك , لكنها تتذكر كم مرة قصته حداداً على
خيبة قلبية جديدة , هزت رأسها بعنف , لا تريد أن تتذكر ..
ستترك شعرها هكذا ..

كيف للحزن أن يتشيث بها لو قصر شعرها !!؟

تتقدم و تفتح الماء لتدخل في أحضانه , مياه باردة قد تكون قادرة
على إطفاء بعض من هذه النيران , وهي وان كانت تقف في الظلام ,
فوهج نيرانها يربها كل شيء ..

ينزلق الماء على كتفيها راسماً حدودها ..

و حده الماء هو أعظم فنان ..

وحده القادر على التشكل بكافة أشكال الكون , كيان لا لون له
و لا طعم , و لا حياة بدونه

هذه المياه تعرفها , و تعرف تاريخها

هي الآن تقف تحت الماء وتفكر ..

كيف ضاع من العمر ما ضاع و كيف أنها تقف وحيدة تماماً في

هذه الصحراء !!؟

كثيراً من الفتيات اللاتي كانوا يرافقنها في رحلة الليل وآخره قالوا

أن الماء وحده هو من يجعلهن يشعرن نقائهن المفقود !

هي ترى برودة المياه الآن وتلابيها ترقص فوق تضاريس نهدياها

الذي كان مطمع للكثير رُغما عنها ..

ولكن على الرغم من ذلك لا تلمس تلك البرودة !

تتعجب !؟

هل أخذ التبلد كل ما تبقى من مشاعرها !؟

أم حرارة جسدها النحيل يحترق شوقا لخلع عباءة العُهر!؟

خرجت من الحمام وارتدت ثيابا ساترة رقيقة فلطالما كانت تشعر
أنها نقية من الداخل

ولكن الظروف هي التي جعلت من طريقها يعرج إلى الدرك الأسفل

..

وقفت أمام المرآة فصعقت لما رأيته من أمامها!

وجهها يحمل ملامحها ولكنه على غير العادة ، خط رفيع من أعلى
إلى أسفل ذقنها يقسم وجهها ببشاعة..

وحل حياتها يرتسم بدقة فوق شفاتها ، وظلام دامس ينغمس
داخل بريق استشهاد داخل مقلتيها..

حاولت أن تلمس نفسها فلم تستطع

دُعرت ، هل كان أمس آخر رمق لها في الحياة!؟

كم تبدو الدموع الآن شيء تافه مبتذل لكنها لا تستطيع أن
توقفها ..

ففي غمرة أحداث حياتها تظل صورته دائما هي عنوان كل يوم..

عجيب هو ما قد يشكله إنسان في حياتك , كيف أن تحترق كل يوم
و تحكي له عن هذا الاحتراق وهو لا يصدق أو لا يبالي ???
ما زالت الأسئلة تتسارع بلا أجوبة شافية ..
دائماً لا تجد الراحة حتى وان أجابت ..
هل حقاً يستحق الأمر فعلاً ما خضته وما سأخوضه؟
هل سأنال يوماً ما أمناه؟
هل حقاً سأجده في أحضاني كما أتمنى ؟
هل سأعيش معه لحظات العشق بلا ندم ولا خوف؟
أتمنى أن أستشعر خشونة كفيه على نعومة جسدي , لترسم على
صفحات روحي ملامح حب يصل إلى حد الانصهار
إن ما يثير بحق في نفسي حفلات الظلام المهمجية هو إحساس
عميق بالحزن , وما يثير العجب أي في حالة الحب تلك وأكون وحيدة
هكذا .
شوقي له مجنون , منذ أن أحببته و أنا أحكم عالمي
بالمخبولين , طردت كل الحكماء , و نبذت كل الأصدقاء و
الأوفياء , وفتحت أبواب مدينتي على مصراعها و أسكنت الجنون و
ذريته
أليس هذا هو القدر , عندما كتب على الجنون أن يرشد الحب و
تزوج الحب والجنون

و أتيت أنا إلى هذا العالم لأعيش ما أعيشه الآن !!!؟؟

تمر بي الأيام و أحشى ما قد يأتي، و يحتلني خوف بربري ، فتثور
فرسة روحي العجرية وأفترش نفسي لها سهل بلا حدود تجري فيه بلا
قيود لعلها بعنفوانها تحجر بربرية الخوف

شعور عجري بداخلها أوحى لها أن تلتفت إلى فراشها لترى جثتها
هامدة دون حراك أمامها! كطيف غير مرئي يرقد في سلام !

اقتربت بخطوات مترددة ومرتبكة إلى نفسها وفي وهلة تطايرت
ذكريات حياتها فجأة من عنق زجاجة عمرها كوحش يكبر ويتشكل
أمامها ليفترس روحها المتبقية فوق ثرى بقاياها ..

الآن فقط أدركت توقف عقارب الساعة عند الثانية صباحا !

الآن فقط أدركت لم كل ما حولها ضاع في سراب الموتى ..

أت غانية ورحلت بانسة في صمت عن الحياة من حولها ..

الحب لم يزر مسائها يوماً ما ولم يذقها الحنان ..

تجرت فقط فئات الشوق الذي كان يلقيه شبه الرجل الذي رسمته
يوما ما فارسا ..

ولكنه أرادها فتاة لليلة واحدة ، ينهل من نهر غنجها ثم يلقيها
عارية الخلق ، مجردة من الحياء..

بخل عليها أن يمنحها ولو نهارا نقيا واحدا ..

ومع إدراكها للحقيقة كانت الصلاة من حولها تأخذها بكل نقاء إلى
أثير بعيد ..

فركضت روحها شوقا إلى السماء على الرغم من حمل الأثام التي
وُثمت فوق جيدها

يالها من حياة..
ويالها من نهايات..

«تعددت الأسباب والموت واحد»

تقولونها كحكمة..

تتشققون بها ليل نهار ..

حياتكم، وإن كنتم في كبد..

فهي هو ولعب..

موت..

يا الله..

ثلاثة حروف هي نهاية كل شيء..

حياة وموت..

يموت الإنسان منا أحياناً وهو حي..

يجب بلا هوية..

بلا هدف..

بلا حياة..

تقابلون الكثير من هؤلاء في حياتكم..

ولكنكم لا تتبهون لهم..

لأنكم تظنون أنكم أحياء..

حمقى..

مكانكم في القبر موجود..

بل ومعروف ..
كل قبر ينادي صاحبه ..
وسياتي يوم لتستجيب للنداء ..
طال في نظرك أم قصر

أمشي في ذلك الحى الشعبي، بجوار المستشفى التعليمى الذى
يميزه..

أمسك بالمصحف فى يدي..

أوراقه تبيض وتتسارع فى البياض..

الناس يهرولون وهم يصرخون..

طلعت الشمس من المغرب..

أجري معهم فى رعب..

دابة عملاقة تسد الطريق..

الناس يزدادون صراخًا ورعبًا..
المياه تغمر كل شيء..
وتقتلع كل ما أمامها بلا هوادة..
المياه تقترب مني..
لا مفر..
سأم - - - ..
أستيقظ من نومي، ودقات قلبي تتسارع على نحو عجيب..
أنفاسي تضيق..
يغمريني العرق..
أنظر من حولي في ذهول..
أمسك بجسدي لأتأكد من وجودي.. .
يا له من حلم!!..
الساعة السادسة والنصف، لن ألق بأتوبيس العمل..
أتوضأ وأصلي الفجر على عجل..
أنزل للشارع..
مئات الوجوه وآلاف التعابير..
السابعة و 10 دقائق..

كل وسائل المواصلات المتاحة ممتلئة عن آخرها ..
رجل خمسيني لا أعرفه يقف بجواري وابتسامة قائلاً ..
الناس هتموت بعضها عشان تركب .. ما فيش نظام يا بيه ..
يقترب مني في تودد مكملاً:

_ تعرف حضرتك في أوروبا الأتوبيس كراسيه تتملي ما حدش يركبه
تاني .. مش احنا الاتوبيس يتملي بني آدمين لحم على عضم ..
والكمسري والاتباع الميكروباص يقوللك خش جوه شوية يا استاذ ..
حاجة تجيب المرض .. أتوبيس الشغل بتاعي جه .. سلام.
أضحك في صمت ..

أراقب الناس، كعادتي عندما أكون في الشارع ..

أعشق انفعالات الوجوه ..

فهذا مبتسم ..

وهذا حالم ..

وذلك مكتئب ..

إلا وجوه النساء ..

فكلهن مع ما كياج الصباح سواء ..

يأتي أتوبيس عام، يهرول إليه الجميع، أصعد بفضل الدفع غير
الذاتي ..

الأتوبيس - كما قال الرجل الخمسيني منذ لحظات - لحم على عظم..

حوارات الأتوبيس التي بلا نهاية أبدا.. يبقى الحوار معلقاً مع مجموعة لا تعرف بعضها البعض..

في الأتوبيس، لست في حاجة إلى أي جريدة لتعرف أخبار اليوم.. فالكل يتحدث في كل المواضيع.. تتحدث إحداهن في امتعاض قائلة:

- الخضار عمال يغلا.. والحكومة ولا هي هنا..

يرد آخر:....

- يعني هي جت على الخضار يا مدام.. الغلا والكووا مالي كل حاجة.. ربنا يسهل بقى وييجي رئيس يدورها بدل ما هي ماشية من غير كبير.

ثالث في توتر:

- يا عم ماشية من غير كبير ازاى ما المجلس العسكري ممشيها اهه.. وبيقوللك الانتخابات قربت، وكل الوشوش معروفة لكل حمدين وابو الفتوح وشفيق والشاطر ومعاهم عمرو موسى، كفاية بقى كلام كثير وكل شوية جمعة شكل حاجة تخنق، سيبوا الناس تشتغل واشتغلوا انتو بس.

فعلاً من يعيش في خوف لن يكون حرّاً أبداً، وهذا الشعب نزع رداء الخوف، الذي ارتداه لثلاثين عاماً وأصبح حرّاً.

نزلت من الأتوبيس، الميدان يعج بالناس، كل يمشي لوجهة
يعلمها..

الباعة الجائلون يفتشون الأرض في كل مكان..

تجد لديهم كل ما تريد، وما لا تريد، وما لا تتوقع!!

«حمادة» صاحب عربة الفول الشاب يعمل بنشاط وبلا ملل..

أمام «حمادة» تجد كل المستويات، فمن السيارات الفارهة إلى
راكبي أقدامهم بحثًا عن ثمن الطعام..

الفول والطعمية والبطاطس والباذنجان، خليط يجبرك أن تأكل، حتى
وأنت تشعر بالشبع..

أصوات الأطباق وهي تملأ..

أنفاس الأكلين..

أصواتهم تتعالى بالنقاش كما العادة..

أحدهم يتكلم بصوت عال، ويبدو مندهشًا:

- غريبة!! الإخوان بعد ما المحكمة طلعت الشاطر من الرياسة
قاموا حطوا واحد بداله اسمه «محمد مرسي»

آخر يرد في سخرية:

- استبن يعني.. شالوا أفضو حطوا شاهين.. ايه اللي بيحصل ده؟

ثالث في جدية:

- العملية كده خدت منحى تاني وخطر بجذ، الإخوان جماعة منظمة، وتقدر تكسب بأي حد.. بالطريقة دي وبالمرشحين الموجودين، الإعادة بين مرسي وشفيق وافتكروا كلامي.

ينظر الجميع إليه بمجدية مصطنعة، ويكملون طعامهم.

هاتفني يرن، أرد.. وصوت «شريف محمود» صديقي مازحًا:

- انت فين يا أمور، راحت عليك نومة والا ايه؟ الرجاله كلها هنا.. الاتنين القرع حمد الله وعلاء فريد والحَملي وزيري ووائل مصطفى قارفنا وعائز يشوفك قبل ما يمشي ومحمد اسماعيل بيقوللك «ثروت» هيروقك لو ما جتتش.

يا عم جاي والله في الطريق.. ربك يسهلها بس...

عيال شمال كلكم..

أبتسم في شرود..

أدفع الحساب وأمشي، وعقلي يعصف بالتفكير..

الزوجة والأولاد..

أبي وأمي..

إخوتي..

أصدقائي..

العمل..

ومصر إلى أين؟؟!!

أصوات صراخ تفيقي من شرودي..

صوت طلقات رشاش في مكان ما يملأ الفراغ..

الناس يمشون بسرعة ويتوتر ملحوظ..

يجرون ويندفعون في كل مكان..

أصوات الطلقات تقترب..

رجال تسيل دماؤهم..

سياب بذيء..

نساء يصرخن..

أطفال يبكون..

وباعة يتركون بضاعتهم هربًا بحياتهم..

و

.....

.....

ظلام هائل يحيط بي..

لا هواء..

أنفاس تتحسج..

دماء تسيل من جانب الرأس..

أمسك بالهواء..
بصر يزوغ..
أوراق المصحف تبيض
الناس يهرولون وهم يصرخون..
- حد يجب إسعاف
- شريوه شوية ميه
طلعت الشمس من المغرب..
دابة عملاقة تسد الطريق..
الناس يزدادون صراخًا ورعبًا..
- الراجل بيموت، لا حول ولا قوة إلا بالله
- هاتوه لعريبي وأنا اوديه لأي مستشفى.
المياه تغمر كل شيء..
وتقتلع كل ما أمامها بلا هوادة..
المياه تقترب مني..
لا مفر..
موت.
الآن أدرك أن من مات قامت قيامته..

الآن أعلم أن الموت موت الجسد لا الروح يا سادة..

أفيقوا..

فالموت أقرب من حبل الوريد..

أفيقوا..

أفيقوا..

أفيقوا..

خاتمة

في زمنكم هذا..

لا بأس أن تحلم..

تتمنى..

ثم برصاصة طائشة، تصبح كل أحلامك أوهاما

ما زلتم - كما أكرر - «حمقى»!!

تتقاتلون من أجل كل شيء..

من لقمة العيش حتى الكرسي..

ترسمون الضحكات الزائفة..

ويداخلكم تعصف براكين من المشاعر المتناقضة حد الدهول..

أحلامكم.. آمالكم.. دنياكم..

هباء..

لن تنفعكم سوى أعمالكم الصالحات..

ودعاء أبنائكم..

بذوركم من خلفكم..

تلك الغابة التي تعيشون فيها..

لن تجنوا من ورائها إلا قبض الرياح..

فارجعوا إلى أنفسكم..

وأففقوا من غفلتكم..
قبل أن تعجزوا عن التعويض..
فاختاروا طريقكم قبل أن تندموا..

في نهاية هذا الكتاب كان لابد وأن أشكر كل من ساندني خلال
الفترة الماضية ..
أشكركم لأنكم كنتم عوناً لي وناصحين أمينين ..

دينا نسريني

محمد عصمت

شيماء حجازي

Re View

محمد الخطيب

هبة الغري

دمتم لي أصدقاء ..

وإلى الأبد

وانتل الخطيب